

# الإسلام دين البشرية

د. جواد فطاير

جامعة النجاح

مساعد رئيس الجامعة لشؤون الخريجين

فلسطين 2012



## العالمية والاسلام

يعتبر الاسلام اكبر ثاني ديانة في العالم بعد المسيحية, حيث ينتشر في انحاء العالم شرقه وغربه «BBC», واذا نظرنا لحقيقة انتشار الاسلام في العالم نجد أنه لا يكاد يترك جزءاً من المعمورة من دولة صغيرة الى قارة واسعة الا انتشر بها و امن به أهله (انظر قائمة الدول تحت Wikipedia list of Countries by Muslim pop من اخر احصائية سنة 2011, وبتحليل بسيط لهذا الواقع الاجتماعي لانتشار الامة الاسلامية حول الكون لا بد من الاشارة الى مؤشر ونتيجة واضحة وهي اختيار الدين الاسلامي من قبل البشر كافة وهذا دليل على قيمة وفعالية الرسالة الاسلامية كمنهج حياة ودستور للتعامل ومبادئ اختارها الناس دون ادنى ضغط او اكراه.

ومن يزعم ان الاسلام انتشر بحد السيف اليه الحقائق والتساؤل حول السبب الذي دعا هؤلاء الناس الى اختيار الدين الاسلامي عن غيره من الاديان وكيف لانسان ان يعتنق نظام عقائدي ويقوم على الايمان بوحدانية الله والعمل بمبادئه الخمسة دون ايمان قاطع بصحة وجدوى هذا النظام, كيف لبشر ان يوحد الله و يؤمن برسوله وكافة الرسل عن اكراه او لمصلحة.

حيث ان الاسلام هو نظام معتقدات ومعايير والتزامات سلوكية لا يحكم فيها الا الله ولم تكن الغاية منها بشر او مصلحة دنيوية, ان هذا العدد الضخم لمجموع المسلمين حول العالم ( 1.7 مليار- Wiki ) واحد لكل اربعة اشخاص حول العالم مسلم.

«ومن آياته اختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لايات للعالمين» الروم (22) من الصعب وغير المنطق ان يعتنق واحد من كل اربعة اشخاص هذا الدين كرهاً لولا ان هناك معانٍ ومشاعر جذبت هؤلاء البشر باختلاف الوانهم والسنتهم وخلفياتهم الثقافية في عالم حديث يسوده العلم والتكنولوجيا والانفتاح الثقافي.

## من الجاهلية الاولى الى الجاهلية المعاصرة:

لقد حطم الرسول المصطفى محمد عليه الصلاة والسلام 360 صنماً كانوا حول الكعبة واحتفظ بالكعبة رمزا لوحداية الله وبداية لعصر جديد أشرق على البشرية منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، وما الوحداية الا ضربة في صميم الجاهلية الاولى حيث عبد الناس الاصنام وكانت الرسالة الاسلامية بداية لرؤية جديدة للحياة والعلاقات ما بين البشر حيث وضعت اهداف سامية للوجود وارتقت بانسانية الانسان الى ارفع المستويات من عبادة الاصنام الى عبادة الخالق، كما انتقلت البشرية من منظومة اخلاق ومعتقدات ومعايير كانت مضطربة حينها الى منظومة اجتماعية متكاملة اتسمت بالعدل والحرية والمنطق والالتزام بمعايير سلوكية جعلت من المجتمع الاسلامي نموذجا للبشرية جمعاء. فبعد ان كان المجون و شرب الخمر والزنى والميسر وغيرها من الموبقات التي تدنت بمستوى الانسان واخذت من رغباته الدنيا معيارا للصواب والخطأ واهملت حق الضعيف واختزلت الحقوق والاخلاق والعلاقات الى مجرد ادوات بايدي الفئة الحاكمة من عشيرة أو قبيلة أو فئة الى نظام اجتماعي اقتصادي اخلاقي يتساوى به الجميع امام الشريعة فحرم الخمر والميسر والزنى ونظمت العلاقات ما بين المرأة والرجل ونشأت الاسرة الاسلامية على مبادئ الاسلام في الزواج وحرمت العبودية بكل أشكالها واستوت العلاقة ما بين الحاكم والمحكوم، هذا ما قدمه الاسلام للعالم منذ قرون ولكن الفاحص لمجريات عالمنا اليوم لا يغلب في جميع المؤشرات لجاهلية حديثة نعيشها في عالمنا اليوم حيث عادت العبودية والقهر والظلم واضطربت العلاقات الاسرية بل وتهدد كيان الاسرة برمتها ومن المؤلم ان نرى بوادر هذه الجاهلية الحديثة تنتشر فيما يسمى دويلات تزعم بالانتماء الى الاسلام بل وترفع شعاره لكنها بعيدة كل البعد عن الالتزام بمبادئه في الحياة اليومية

## التزمت الحزبي والفئوي:

كيف لا يتساءل المرء حينما ينظر الى الواقع العربي بشكل خاص والواقع الاسلامي بشكل عام حيث ترى الناس منقسمين حسب الخلفية الثقافية الخاصة او الحزبية السياسية التي ينتمي لها المرء, وكان الحزب او الانتماء السياسي لايدولوجية قد تفوق على الانتماء للدين.

يتصرف الناس بعصبية وتزمت كل حسب الفئة الايدولوجية التي ينتمي لها وكان الايمان بالمبادئ او للتوجهات السياسية اعمق واكثر قيمة من الانتماء الى دين واحد, بل وقد اخذت الانتماءات المتعدده تسود على الانتماء للشريعة الا بالصور الشكلية التي نراها معلنة على شاشات التلفاز او في المناسبات الدينية كالحج او العمرة او الاعياد, وحين يتفحص المرء بموضوعية شبكة العلاقات التي تسود حياة الناس تجد ان الخلافات بسبب الانتماء السياسي تصل الى ابعد من التصورات, فهناك من يعلن الحرب على الاخر المختلف سياسياً وهناك من ينفي وجود الاخر برفضه لاقامة علاقات وهناك من يحتكر المناصب او المصالح ويمنعها عن الفئة المختلفة وهناك حتى من يرفض الزواج من اخر مختلف عنه حزبياً او ايدولوجياً أو حتى ثقافياً، المؤشرات على غياب الانتماء للاسلام الذي أقر التعددية عديدة وشاهدة بوضوح على التزمت وضيق الافق حيث يبقى خاسراً واحداً على الدوام وهو الدين الذي كان من المفترض ان يلم شمل الامة على كلمة واحدة. ولا شك أن مفهومنا للامة كمسلمين يحتاج الى مراجعة شديدة وأهمها وقفة على موضوع التعددية.

## نسبة الفقر والبطالة بين المسلمين:

تشير الاحصائيات الى ان نسبة الفقر والبطالة في ما يسمى البلاد الاسلامية أي البلاد التي يعد المسلمون فيها الاغلبية السكانية، الى ارقام مرعبة تصل في بعض الاحيان الى أكثر من 40% عاطلين عن العمل واذا فحصنا نسبة البطالة ما بين أشد الناس حاجة للعمل وهم الشباب تجد هذه النسب أكثر رعباً وتهديداً للسلام الاجتماعي والاستقرار. اما اذا تفحص المرء نسبة الفقر والعوز بل والعيش تحت خط الفقر أي المعاناة لتأمين الاحتياجات الاساسية ما بين فئات عديدة من مجتمع آمن بالعدل والانصاف واعتقد بالزكاة والعون من الغنى للفقير كركن من أركان الاسلام. فلا يحتاج الامر الى فلسفة أو محللين اقتصاديين ليتساؤلوا هل يلتزم الجميع بدفع الزكاة كما أمر الشرع... واذا كان نصف الجواب صحيحاً فهل يمكن ان يكون هناك معوزاً او ذليلاً للحاجة ما بين المسلمين؟

الجواب بالقطع لا. وذلك لان نسبة اصحاب الاموال والمشاريع التي تشهد بوجود المال ترد على التساؤل بسهولة. وكيف يمنع مسلم زكاته عن مسلم محتاج لانه مختلف عنه سواء بلسانه أو بلونه أو بموقعه الجغرافي. كيف يغيب الشعور بالمسؤولية واسباب التقوى لهذا المدى حيث يزداد الفقراء فقراً كل يوم وبيتعد اصحاب الاموال عنهم أكثر فأكثر دون الاحساس بالذنب وكيف لا والارقام والروايات تنهال علينا كل يوم عن فئات اهل السلطة في هذا المكان أو ذاك حيث الارقام عن الاموال والحسابات والعقارات تلثم اللسان ومع كل هذا يزعم اصحابها بانتمائهم للاسلام.

هذا لا ينفي ان هناك اهل الخير والعطاء ما بين المسلمين واعمالهم شاهدة للقاصي والداني، بل ان الحديث في هذا المقام يركز على الغالبية التي تمثل القاعدة لا على الاستثنائات التي تعتبر حالة فريدة نسبياً.

## العنوسة

أشير هنا الى ظاهرة إجتماعية- نفسية ذات دلالات دينية خطيرة واهمها غياب التقوى والالتزام بتعاليم الدين الحنيف، وبالذات قبول الاخر المختلف إجتماعياً أو ثقافياً مع انه مسلم!. تعد العنوسة خطراً يحدق في قلب العالم العربي بالذات وهي بمثابة قنبلة إجتماعية - نفسية مدفونة في خاصرة المجتمع الذي يزعم بالانتماء للإسلام. تشير الاحصائيات أن نسبة البنات غير المتزوجات او اللاتي فاتهن قطار الزواج يرتفع سنة بعد سنة، أرقام تندر بالخطر، وسؤالنا هنا في هذا السياق هو علاقة هذه الظاهرة أو المشكلة الخطيرة بسياق هذا العمل. الجواب بكل بساطة هو ان العنصر الاساسي وراء العنوسة هو غياب التقوى والايمان بمعتقدات إجتماعية بالية عفى عنها الزمن بل و الخوف من مواجهة هذه المعتقدات والعادات والتقاليد التي صقلها المجتمع على حساب تعاليم الدين السمحة التي تتلخص في» من جاءكم من ترضون بدينه وخلقه فزوجوه» لكن السلوك السائد في الواقع هو رفض من نراه مختلفاً عنا.

فهناك أسر لا تزوج الا من عشيرتها وأهلها مع أن توصية الإسلام: غريبو النكاح. وهناك من يتعثر زواجه بسبب متطلبات الأهل المادية في حين توصي التعاليم: ولو بخاتم من حديد.

وهناك من يرفض حتى الحوار أو التفاوض في الزواج خارج القطر او حدود المنطقة السكنية في حين نعلم ان التعاليم تقول: بأن المسلمين اخوه.

وكم منا يقبل الزواج من اخر فقط لانه مسلم أو مسلمة ؟ ويستطيع ان يتخلى عن العناصر الاجتماعية الاخرى التي يتعامل معها المسلمون بلا فهم وكأنها الدين الذي يحب ان يلتزمو به .

كم هم الضحايا لهذا البعد عن تعاليم الدين بخصوص انشاء أسرة بالحلال, ولكن معايير المجتمع تبدو وكأنها الدين الحقيقي الذي يلتزم به المسلمون الجدد ! الى متى ؟ وكم من الضحايا يجب أن يكون حتى نستفيق الى الحق المبين؟

## الانقسام الفلسطيني:

الى كل من سعى و يسعى لتكريس حالة الانقسام في فلسطين ..  
أخطر ما في الانقسام انه وفر افضل بيئة ومناخ لاذابة القضية الفلسطينية وهو  
الاخطر على تاريخ النضال الفلسطيني حيث تشتت الجهود وفقدت البوصلة  
الوطنية .

أن الكاسب الاول والاخير من الانقسام هو العدو الذي استرخى لابعد الحدود  
و لم يعد ما يهدد وجوده ومستقبله.

هذا العدو يراهن منذ بداية القرن العشرين على فرض الامر الواقع و الوقت  
الذي يمضي كي يصبح وجوده في الارض وانتشاره اليومي والتوسع الاستيطاني وفي  
ظل الانقسام يكون قد وفر لنفسه ونحن بايدينا وفساد عقولنا نوفر له و لتوسعه  
افضل الظروف المثالية .

هذا العناد والشوفينييه وحب الذات الذي يغلب على المصلحة العامة وعلى  
القضية اصبح هو الالية التي تتحكم باتخاذ القرارات وصنع السياسات واحتلت  
الذات الفتوية مكان الذات الوطنية فلم يعد هناك خطة ولا استراتيجية وطنية  
بل اهداف ذاتية تذوب وتتفتت قيمتها من خلال معوقات الحياة اليومية التي  
يفرضها الاحتلال علينا جميعا، كل هذا ناتج عن عدم قبول الاخر المختلف، وعن  
عدم البحث والتركيز على أرضية مشتركة وقاسم مشترك للجميع.

وفي اللحظة التي نتناسى او ننكر او يروق لنا ان نتخلى عن وحدة الهدف و تماسك  
الرؤية الوطنية تصبح الجهود الفتوية كمحاولات فردية عبثية تأثيرها لا يتعدى  
الكلمة المخطوطة على الورق، عاجزة من ان تأثر في الواقع سواء كان مؤلما ام حتى  
سويا .

ومن وجهة نظر المراقب المستقل القريب والغريب، يبقى تساؤل جذري مطروح  
اليوم وهو من هم الفلسطينيون الحقيقيون اصحاب القضية وممثلو المعاناة  
والجماهير، فهل نلوم من يرى فلسطين هنا وفلسطين هناك؟ وكلاهما يحاول أن  
يكسب ود ودعم المشاهد أو الداعم....!



سيحاسب التاريخ والاجيال الصغيرة العمر الكبيرة الاحلام, هذه المرحلة وكل اسم ورمز ومؤسسة ساهمت في استمرارها او في تسببها او الاصرار عليها. والخطر من هذا هو مدى التأثير النفسي والفكري العميق الذي يتركه الانقسام في داخل الجماهير حيث انشطرت النفس الواحدة الى نفسيات و شظايا لم تعد قادرة على تكوين هوية واضحة المعالم أو انسان سوي. ولهذا الانشطار تبعاته غير المحدوده وأهمها هو اهدار الطاقة و فقدان الثقة بالذات و المقدرة على بلوغ الاهداف اي اهداف لتصبح الحياة مجرد ايام تدور حول نفسها بلا معنى .

كم من الثقة سيبقى بعد هذه السنوات لدى الجماهير حيث غير واضح امامها من يجب ان يمثل سلطتها وارادتها السياسية وكيف تراهن اي قيادة على ادارة الاخر وتحقيق الاهداف في ظل المسافة الشاسعة ما بينها و بين الجمهور الذي من المفترض انها ترعاه و تحركه .

كم هو الايمان بإمكانية الخروج من الازمة اذا ما تكثفت الجهود في الاتجاه المعاكس واصبح وجود الاخوة بيئة تهديد وخوف وانتظار الفرص لانهاء الاخر .... وعلى حساب من؟

ان انتشار احساس اللامبالاة عند المواطن وهذا من اخطر مواصفات ضعف البناء الاجتماعي وخلل النسيج الثقافي الذي يحمي الكيان واستمراره . وكذلك اضطراب في قلب المجتمع وهو غياب القيم المشتركة والتي تبنى على المعتقدات وتحدد عدد من المعايير التي يتمسك بها الجميع وبدون هذا القلب العقلي- العاطفي من الصعب تكوين حماية ضمان وجود أية أمة... وما الانقسام الا خطة لهدم الامة وتشويه تاريخها وتدمير مستقبلها .

## المراجع:

1. <http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%B3%D9>
2. [http://en.wikipedia.org/wiki/List\\_of\\_Muslim-majority\\_countries](http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_Muslim-majority_countries)
3. اسباب الفقر في العالم الاسلامي ودور التربية في التنمية، عدنان حسن با حارث، 1994
4. الزواج في الفقه الاسلامي، محمد احمد شحاته، 2010

## السيرة الذاتية

- حاصل على شهادة الماجستير والدكتوراه من جامعة تكساس وجامعة نورث تكساس.
- لديه أكثر من عشرين سنة خبرة في التدريس الجامعي في جامعات أمريكية عالمية مثل Texas A&M والجامعة الأمريكية بالقاهرة AUC
- بالإضافة إلى شهادة مزاولة المهنة في معالجة الإدمان والاضطرابات السلوكية والتدريب المهني والاستشارات العلاجية والتدريب،
- عضو في المجلس الدولي لعلم الاجتماع العلاجي Association for Applied Clinical Sociology
- له عدة أعمال علمية منشورة في الدوريات العلمية العالمية منها نظرية في الإدمان
- الشخصية معروفة عالمياً وبالإمكان التعرف على أعماله العلمية من خلال محرك البحث العالمي google.com و Amazon.com
- يشغل حالياً منصب مساعد الرئيس لشؤون الخريجين في جامعة النجاح الوطنية
- رئيس مجلس تنمية الكفاءات وعضو هيئة تدريس في كلية الطب.